الفصل الخامس

القدس في الشعر العربي

مي قدري زيادي

لم يعد الشعر ديوانًا للعرب ومفخرة لهم، كما كان من قبل، لكن دوره تراجع بعد تراجع موقع العرب في العالم، بعدما استفحلت العولمة داخل حياة الشعوب العربية: الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، ومع تعرض الوطن العربي للهجمات الشرسة من الإمبريالية الغربية، والصهيونية، التي تحاول دائمًا اختراق الهوية العربية، وفرض سيطرتها عليها. فلم يعد الشعر أداة للتعبير عما حققه العرب من إنجازات، وبطولات، كما كان من قبل، بل أصبح الشعراء الذين يحملون هموم أوطانهم على أكتافهم، وفي قلوبهم، يستخدمون الشعر كأداة للتعبير عن الظلم الواقع عليهم، وعلى أوطانهم، ولتفجير قضايا الوطن العربي في كل مكان، لعل أصواتهم تصل إلى كل من بيده الأمر، فيهب مسرعًا لنجدة أوطاننا من الخزي والعار، ولإشعال حماسة العرب، وأصالتهم وتاريخهم.

تتناول دراستنا كيفية تناول الشعراء العرب لقضية القدس، وموقفهم منها، ومن الحكام، والشعوب العربية، التي تشترك جميعًا في الحق في الدفاع عن القضية الفلسطينية، وفي قلبها القدس.

إذا كانت القدس إحدى أهم المدن التليدة العريقة في العالم؛ فإنها تمتاز عن غيرها من المدن بقدسيتها، ومكانتها العالية عند أصحاب الرسالات السماوية، حيث يؤمونها جميعًا سواءً بسواء، ليحج كل فريق منهم إلى أماكن عبادته المقدسة، التي تتجاور في هذه المدينة العريقة، وكأن تلك الأماكن جميعًا تؤكد أنها تهدي بني الإنسان إلى قيم الحق والخير والجمال[1].

من هنا نالت القدس استقرارًا في المنطقة اللاشعورية للشعراء، فمنهم من بكاها كمكان، ومنهم من بكاها كرمز، ومنهم من بكاها وهو يرى بأم عينيه ما يحدث لها، ومنهم من بكاها كحلم، ومنهم من بكاها كذكريات ماضية، أو كمكان سمع عنه من أهله اللاجئين في شتى الأقطار[2].

تتحدد علاقة الشاعر بالمكان في صورة مباشرة، يصور فيها الشاعر المكان بكل أجزائه بروح من يعيشه، ويحياه بمشاعره، ويعكسه من خلال عدسته التي تجوب المكان وأحراشه، وقد تتحدد علاقة الشاعر بالمكان بصورة أخرى، غير مباشرة، يتحول فيها المكان حلما، أو تجربة شعرية، غير أنه يبقى واقعًا محتملًا؛ لأن جزئياته إنما تستقر في العقل الباطن، إما بالمشاهدة، أو بالسماع. وفي كلتا الحالتين يلعب الخيال الشعري دوره في تحديد المكان، وتشكيله، وفق مفردات لغوية، تنأى به عن الواقع، أو بمعنى آخر توهماته[٣].

.بما أن المدينة المغتصبة، والمحاربة، تحتل مكانة كبيرة في رؤية الشاعر العربي المعاصر، فقد استطاع الشعراء العرب رصد تاريخ القدس، وما يحدث لها، من خلال قصائدهم التي رصدت كل ما لحق بالقدس منذ وعد بلفور عام ١٩١٧، وهبة البراق عام ١٩٢٩ وظهور النزعة الدينية المقدسة في الشعر العربي للدفاع عن القدس والثورة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٣٩، وبعدها يأتي الشعر العربي، ليعبر عن القدس بعد نكبة ١٩٤٨، وضياع القدس العربية، حتى حلول هزيمة يونيو/ حزيران ١٩٦٧.

مكانة القدس كمدينة، ورؤية الشعراء لها

نظر الشاعر اللبناني «رشيد الخوري» إلى «وعد بلفور» البريطاني للصهاينة باعتباره وعدًا باطلًا، وحيث كانت الغارات الحربية اليومية في القدس هي التي تخبر الملأ عمن هو صاحب الحق في الأرض، هنا قال الخوري[٤]:

جزى الله عنا بلفرا أجر محسن
فوالله لم يبرأ من الفضل بلفر
عرفنا به أنا سلالة أمة
مخلدة كالفجر يطوي وينشر
إذا كان أولى الناس بالعيش باسل
فنحن به من سائر الخلق أجدر.

يستكمل إيليا أبو ماضي، وعيناه على القدس، وما حل بها وبفلسطين، منذ بواكير عهد فلسطين بالانتداب البريطاني، بل منذ أن برز إلى الوجود «وعد بلفور»، فيقول أبو ماضي[٥].

ديار السلام، وأرض الهنا
بشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا
وما كان رزء العلا هينا
ألا ليت بلفور أعطاكم
بلادًا له، لا بلادا لنا
فلندن أرحب من قدسنا
وأنتم أحب إلى لندنا.

بعد صدور «وعد بلفور» أخذ المستوطنون اليهود يهتفون بجوار حائط البراق، «الحائط حائطنا»!، ويدعون بأن هذا الحائط هو ما تبقى من هيكل سليمان، بينما المسلمون يؤكدون أن هذا هو «حائط البراق»، الذي عُرج بالرسول ﷺ منه إلى رحلة المعراج، من هنا بدأ الشعراء يكتبون قصائدهم، حاملين النزعة الدينية المقدسة لهذه المدينة العتيقة، حيث كان للقدس مكانة كبيرة في نفوس الشعراء، فنجد الشاعر المصري الكبير محمود حسن إسماعيل في ديوانه «**القدس تتكلم**»، يقول[٦]:

يا قدس يا حبيبة السماء

قومي إلى الصلاة

وباركي الحياة

ورددي التسبيح في المآذن

وأيقظي التكبير في المآذن

وكبري لله لا تهادني

قومي إلى الصلاة

وباركي الحياة.

أما الشاعر المصري أحمد سويلم، فله قصيدة تحت عنوان «**صلوات في المسجد الأقصي**»، ويتضح من عنوان القصيدة أن ما يقصده سويلم لم يقتصر في قوله على المسجد الأقصى، بل كان حسبه أن يجعل المسجد الأقصى عنوانًا، تندرج تحته أغراض أخرى، كما أن ذكره للصلوات يكشف عن إيمان يعمر في قلبه، ويحن إلى عودة المسجد الأقصى إلى المسلمين، ليؤدوا الصلاة فيه، فيقول الشاعر[٧]:

لن تسألني أرضي يوما

من أنت؟

لم يسألني أمسي...

لن تسألني المئذنة الشاهقة الهامة

فأنا ما جرجرت الساقين لها في تيه الغربة

ما ارتعدت أطرافي وأنا أهو فوق روابيها.

يربط الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل في قصيدته «**الأذان الذبيح**» بين رحلة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ وبما حدث للمسجد الأقصى من احتلال الجيش الإسرائيلي له، وللقدس، فيقول إسماعيل، موجها خطابه إلى أذان المسجد الأقصى، وهو يعاني من وراء السكون والأغلال، وذلك على الرغم من نبرة التشاؤم والحزن المسيطرة على الجو العام للقصيدة، فيقول[٨]:

تلفت..فما زال خطو النبي

يرش لك النور بالراحتين

ويسقيك إسراؤه في الظلام

رحيق القداسة من خطوتين

ألمت شعاعاته بالتراب

وخطت به أولى القبلتين

وأول إصغاء هذا الوجود

لرب السماوات في سجدتين.

عن مدى تأثر الشعراء بالقدس، من الجانب الديني، نجد الشاعر صالح جودت متأثرًا بالقرآن الكريم، فيكتب عن ذكرى عودة المشردين، الذين أُبعدوا عن ديارهم، فكان الشاعر هنا أقوى لهجة، وأكثر تأكيدًا لما يقول، معتمدًا على الله، الذي يرفع إليه أكف الضراعة، والدعاء، وهو موقن بأن الله سيجيب دعاءه، وينصف المسلمين من كيد وبطش الظالمين، فيقول[٩]:

لا والضحى والليل إذا سجى

وكل سيار به تهتدي

لن يطلع الصبح على ظالم

مستغرق في حقده الأسود

سترجع القدس إلى أهلها

مجلوة بالمجد والسؤدد

والمسجد الأقصى إلى ربه

يزخر بالرُّكَّع السُّجَّد

ستشرق الشمس على أمة

لغير وجه الله لم تسجد.

في تجربة شعرية ضخمة صاغ الشاعر المصري محمد عايش عبيد السيرة النبوية العطرة شعرًا، في عشرة آلاف بيت، وفي كتاب من أربعة أجزاء، معتمدًا في صياغته على السيرة النبوية لابن هشام، فتناول عبيد رحلة الإسراء والمعراج قائلًا[١٠]:

عن رحلة الإسراء سلني إنني في الصادقين

هي رفعة للمصطفى فوق الخليقة أجمعين

هي فتنة للمشركين ورحمة للمؤمنين

تمت على متن البراق وصحبة الروح الأمين.

أثر نكبة فلسطين في الشعر العربي

كان للنكبة أثر بالغ في الشعر العربي، ابتداءً من عام ١٩٤٨، فإلى جانب الموضوعات التي أوجدتها المأساة، تناول

الشعراء جوانب الضعف في بناء الأمة العربية، وحدد الشعر موقف هذه الأمة من إسرائيل، العدو المشترك، وممن يمدونها بأسباب البقاء، والقوة، ويمهدون لها الطريق والعدوان، والتوسع، وموقف الأمة من المنظمات الدولية التي تحيزت لإسرائيل، ومن الدول ومن الأحلاف العسكرية، وظهر أثر المأساة في الشعر الحديث، معبرًا عن الذات العربية، واعتناق فلسفة، ومخاطبة المستعمر بلغة المصلحة، والكشف عن جوانب القوة الكامنة في الأمة العربية، وما تملكه من مقدرات ، وإمكانيات، تتيح لها إذا اتحدت وتضامنت أن تملي إرادتها على الذين أوجدوا إسرائيل، وأن تعيد الحق إلى أهله[١١].

نظم الشاعر المصري علي الجارم هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصري في فلسطين ١٩٤٨، إلى أن وصل إلى مشارف تل أبيب، فتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية، وفرضت الهدنة على الجانبين، من أجل مصالح إسرائيل، لتجنبها عار هزيمة محققة، فقال الجارم[١٢]:

تألق النصر واهتزت عوالينا

واستقبلتْ موكب البشرى قوافينا

غنى لنا السيف في الأعناق أغنية

عزفت على الأيك إيقاعًا وتلحينا.

في النص الأول للشاعر علي محمود طه، في قصيدته المشهورة **«مولد إسرائيل»**، يقول[١٣]:

أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا

أنتركهم يغتصبون العروبة مجد الأبوة و السؤددا؟

وليسوا لغير صليل السيوف يجيبون صوتًا لنا أو نِدا

فجرد حسامك من غِمده فليس له بعدُ أن يُغمدا

أخي إن في القدس أختًا لنا أعد لها الذابحون المُدى

أخي قم إلى قبلة المشرقين لنحمي الكنيسة والمسجدا.

فهنا حض الشاعر المصري على الجهاد، لاستخلاص قطعة عزيزة من ميراث الآباء، والأجداد، وتطهير البلد المقدس من الدخلاء، ولم يخص في دعوته قطرًا دون آخر، وإنما وجه دعوته عامة للعرب جميعًا، ليسارعوا إلى النضال.

رؤية الشعراء العرب للقدس بعد هزيمة ١٩٦٧

أعلن الشاعر الحضرمي الأصل، علي أحمد باكثير، من خلال قصيدته المسماة **«إما تكون أو لا تكون»**، عدم قبول الصلح مع العدو الإسرائيلي، مهما كانت الخسائر العربية، ومهما بغى العدو الصهيوني، واستشرى بلاؤه، ومهما نال من أقدس مقدساتنا، وأعمل فيها الخراب، فقال باكثير في إصرار يدل على مكانة الأصالة فيه، وفي جوهره، ومعدنه[١٤]:

لا صلح يا قومي وإن طال المدى

وإذا أغار خصمنا وأنجدا

وإن بغى وإن طغى وإن عدا

وروَّع القدسَ وهد المسجدا.

ينظم الشاعر المصري أمل دنقل، بعد هزيمة ١٩٦٧، قصيدة «**سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس**»، وفيها تظهر رؤية دنقل العميقة التي تتجاوز الرؤية المباشرة، فيقول دنقل[١٥]:

عائدون

وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة

يتقلب في الجب...!

أجمل إخوتهم لا يعود...!

وعجوز هي القدس يشتعل الرأس شيبا

تشم القميص، فتبيض أعينها بالبكاء

ولا تخلع الثوب حتى يجيء لها نبأ عن فتاها البعيد.

هنا يشبه دنقل ما حدث في هزيمة يونيو/ حزيران ١٩٦٧ بقصة سيدنا يوسف (عليه السلام) ويصور القدس هنا وكأنها عجوز اشتعل رأسها شيبًا من كثرة الحزن.

أما الشاعر المصري، محمود حسن إسماعيل، فيتحدث عن القدس، يقول: وجدنا المآذن فوق المنابر، على دور العبادة في القدس تحكي عن المجازر التي يرتكبها المحتل الغاشم في حق الفلسطينيين، ثم يقول إسماعيل برؤية متفائلة: على الرغم من ذلك، هناك ليل ينادي الشروق، أي مهما كثر الظلم والطغيان، فنحن في انتظار الحرية.

ويؤكد إسماعيل أن صوتًا من عند الله ينادي في كل مكان، أنه لو دمرت كل قباب دور العبادة، وأصبحت القدس أرضا للطغاة، فسنظل جميعًا ذاهبين لمحراب القدس نصلي[١٦]. ويقول إسماعيل في قصيدة «**وجئت أصلي**»:

وجدنا المنابر

تحكي مجازر للطهر مخنوقة في العروق

وجدنا على صخرة الحق

ليلًا.... ينادي الشروق

و نارًا... تشدُّ يد النور

من قاع ليلٍ عميق

وصوتًا من الله

يزأر في كل ركن عميق[١٧].

ينظم الشاعر السوري، الشهير، نزار قباني، قصيدة، يعبر من خلالها عن رأيه في أن العرب كلهم مشاركون في الجريمة، جريمة الجهل بالتاريخ، والتقاعس عن نجدة وإغاثة من يستغيث، إنه يقول، ذات مرة، وهو بالعراق، في ذكرى مرور عامين على هزيمة يونيو/ حزيران ١٩٦٧[١٨]:

لو قرأنا التاريخ..ما ضاعت القدس

وضاعت من قبلها الحمراء

فلسطين..لا تزالين عطشى

وعلى الزيت نامت الصحراء

العباءات كلها من حرير

والليالي رخيصة حمراء

يا فلسطين..لا تنادي قريشًا

فقريش ماتت بها الخيلاء.

فيما أشاد الشاعر اللبناني المخضرم، بشارة الخوري، ببسالة العرب في فلسطين، وصور حزن الأمة العربية عليها، واستثار العرب، لنجدتها في قوله[١٩]:

يا فلسطين التي كدنا لما	كابدته من أسى ننسى أسانا
نحن يا أختُ على العهد الذي	قد رضعناه من المهد كلانا
يثرب والقدس منذ احتلما	كعبتانا وهوى العرب هوانا
شرف للموت أن نطعمه	أنفسنا جبارة تأبى الهوانا

يستكمل الشاعر العراقي المعروف، والذي عرفته عواصم الدول العربية شاعرًا، مشردًا، وهو مظفر النواب الذي كتب قصيدته «**القدس عروس عروبتكم**» عام ١٩٧٢، وهو يشعر بالغضب، إزاء العرب، وخاصة منهم الخونة، الذين باعوا فلسطين، من أجل مصالحهم، فينظم النواب قصيدته المفعمة بالثورة والغضب، يقول[٢٠]:

من باع فلسطين وأثرى بالله

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام

ومائدة الدول الكبرى

فإذا جن الليل

تدق الأكواب بأن القدس عروس عروبتنا

أهلا أهلا أهلا

من باع فلسطين سوى الثوار الكسبة

أقسمت بأعناق أباريق الخمر

وما في الكأس من السم

وهذا الثوري المتخم بالصدف البحري ببيروت

تكرش حتى عاد بلا رقبة

أقسمت بتاريخ الجوع ويوم السغبة

لن يبقى عربي واحد، إن بقيت حالتنا هذي الحالة

بين حكومات الكسبة

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها؟!

ووقفتم تستمعون وراء الباب

لصرخات بكارتها

وسحبتم كل خناجركم

وتفاخرتم شرفًا.

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل عقب الحريق الآثم للمسجد الأقصى، في أغسطس/ آب ١٩٦٩: إنه رغم اندلاع الحرائق والأعاصير في ساحات المسجد الأقصى ورغم كل تلك المعوقات، جاء الناس من كل مكان لأداء الصلاة والطقوس الدينية، يقول إسماعيل[٢١]:

وجئت أصلي

ورغم اندلاع الدجى، كالبراكين حولي

ورغم الأعاصير ترمي خطاها لسفحي وجرحي

وساحات هولي،

أتيت أصلي..!

أما الشاعر محمد التهامي، الذي يلقب بشاعر العروبة، فيقول في قصيدته بعنوان «القدس»[٢٢]:

كثير ببابك تلك الصور، وأكثر منها لديك العبر

وذكرك أعيا لسان الزمان لعمق الحكايا وطول السِّيَر.

فالشاعر هنا يجعل لقصيدته مقدمة، يتجه فيها بالكلام إلى القدس، فيضعها في منزلتها بين المدن، وينسب إليها ما لا ينسب إلى غيرها، وما كان له غنية عن قوله، إنها ملتقى الأنبياء، فهذا من الدلائل على سمو قدرها، ثم يقول:

ويا واحة منذ فجر الوجود تجمع فيها الهدى و انتشر

تربى النبيون في حِجرها وأرضعت الحق حتى كبر

وضمته في الدفء أحضانها وساقته أنفاسها فانتشر

وأول خيط الهدى عندها وآخره فوق كل البشر.

تعبر الشاعرة العراقية المعروفة، نازك الملائكة، برؤية فلسفية، تبعث على وجوب إحياء القضية، التي تتبناها الشاعرة في قصيدتها «**سوسنة اسمها القدس**»، حيث استطاعت في أسلوب إنشائي، جاء في صورة استفهامات متكررة، في إطار رؤية تحمل معاني الخوف، والتقصير، والإحساس بالذنب، حين يبدأ الحساب الذي يعقب الموت، تقول نازك[٢٣]:

إذا نحن متنا وحاسبنا الله

قال: ألم أعطكم موطنا؟

أما كنت رقرقت فيه المياه مرايا؟

وحليته بالكواكب؟ زينته بالصبايا

وفي ظلمات لياليكمو، أنا قد زرعت القمر.

يستدعي الشاعر العراقي، بدر شاكر السياب، من التاريخ مشهد ما يدعون أنه صَلْب المسيح، والعبارات الشعرية على لسانه ذاته، ويمزج هذا المشهد بمشهد مخاض القدس في الوقت الحاضر، في رؤية شعرية ذات آمال في المستقبل، على الرغم من دموية الحاضر، فيقول شاكر[٢٤]:

بعدما أنزلوني، وسمعت الرياح

في نواحٍ طويلٍ تسف النخيل

والخطى وهي تنأى إذن فالجراح

والصليب الذي سمروني عليه طوال الأصيل

لم تمتني وأنصت: كان العويل

يعبر السهل بيني وبين المدينة

مثل حبل يشد السفينة

وهي تهوي إلى القاع، كان النواح

مثل خيط من النور بين الصباح.

يقول الشاعر فاروق جويدة، في قصيدته «لن تموتوا مرتين»[٢٥]:

القدس سوف تحاصر الموتى

ستهدم كل جدران المقابر

ستطوف فوق شواهد الأحياء

نصرخ في بيوت السوء

سوف تصيح من فوق المنابر

يتدفق الصوت العتيق

هنا يتحدث جويدة عن القدس، وكأنها شيء قام بمحاصرة الموتى، وكأنها جرار سيهدم كل المقابر، وكأنها طير يحلق فوق الأحياء، وكأنها إنسان يصرخ في العرب المتخاذلين، الذين سماهم جويدة «بيوت السوء».

عبرت الشاعرة العراقية، نازك الملائكة، بتأثر شديد عن مدى حزنها على ما أصاب فلسطين، ومعها تراث الأجداد و مسرى النبي ﷺ وموطن المسجد الأقصى، وتوعدت غاصبيها بأن العرب أقسموا على التفاني في تحريرها[٢٦]:

رددي نفحة العلا والخلود في ديار الإسراء أرض الجدود
رددي للبقاء لحن الأماني أتت أولى الشاردين بالتغريد
رجعي نغمة لقد طالما سر نا على وقعها لفتح جديد
وانثري أجمل الزهور على تر ب فلسطين موضع التوحيد
وافخري إذ بنوك تواصوا أن يضنوا بعزك المعهود

الشاعر العراقي المعروف، أحمد مطر، كتب قصيدته المشهورة «**بين يدي القدس**»، يناجي فيها القدس، وكأنها سيدته، التي يطلب منها المعذرة، ويصف حاله بأنه ليس له يدان، وليس له أسلحة، أو ميدان ليدافع عن حقوقه، فيقول مطر[٢٧]:

يا قدس يا سيدتي..معذرة
فليس لي يدان
وليس لي أسلحة
وليس لي ميدان
كل الذي أملكه لسان
والنطق يا سيدتي أسعاره باهظة
والموت بالمجان

سيدتي أحرجتني
فالعمر سعر كلمة واحدة
وليس لي عمران
أقول نصف كلمة
ولعنة الله على وسوسة الشيطان.

يشير الشاعر محمود حسن إسماعيل، في قصيدته «**رفض الهزيمة**»، إلى القدس، وهي ترفض الذل والعار، فهي المدينة التي تبعث بالنور لكل العالم، والتي أُسْرِيَ بالرسول ﷺ منها إلى رحلة الإسراء والمعراج، فهي المدينة التي تنقذ وجه الأرض من الظلمات، ألقى إسماعيل هذه القصيدة في مهرجان الشعر العربي الثامن عشر بالقاهرة عام ١٩٦٨، يقول إسماعيل[٢٨]:

ترفض مثلي أرض سمعت نجوى الله على شفتيها
أصغت ورنت، ثم أضاءت حَلَك الدنيا من خديها
ثم تهادى خطو الرسل، يدفق نورا بين يديها

obeikan.com

عانق فيها كل نبي مَرَّ ....أخاه،

وغدت كل حصاة فيها قدس الصلاة

قدس لقاء بارك وجه الله ثراه

حين أتاها حاوي النور يشق ضحاه

فوق سفين عبرت لج الغيب وطارت دون شراع

غير نداء الأفق الأعلى سبح في يمناه شعاع

فدنا منه وشرب الحق من الآيات

ومضى ينقذ وجه الأرض من الظلمات.

ينادي الشاعر المصري الشعبي المعروف، عبد الرحمن الأبنودي، القدس بأن تنتبه إلى العدو الحقيقي لها، دون أن تقع تحت وطأة الخداع، باسم مصلحة القدس، فيقول الأبنودي[٢٩]:

يا قدس لمي جناحك وارجعي تاني

لا تصدقي قولي ولا تأتمني أحضاني

نامي في حضن العدو..هو العدو التاني

يا قدس خافي قوي من العدو التاني

الخنجر المختفي وانتي فاكراه ضلع

الأفعى ورا ضحكتي والموت في أسناني.

ينظم الشاعر المصري، محمد إبرهيم أبو سنة، قصيدة احتفالًا بنصر أكتوبر ١٩٧٣، لكنه لم ينس القدس الجريحة، وهي على قمة المدن العربية التي نُهش لحمها بأنياب ومخالب الذئب الإسرائيلي الشرس منذ أعوام عديدة، فقال أبو سنة والحزن ملء الصدر[٣٠]:

القدس تجلس والدماء

فوق الثياب وفوق أطواق الحمام

وتظل تقرأ في الكتاب

الله في القرآن والإنجيل والتوراة يشهد

إن غربان الحدود من اليهود

صلبوا على الأرض السلام

أسرى غرامك يا فلسطين الأسيرة.

أما أمل دنقل، فتوحد مع أبناء شعبه، ورنا، وكتب عن القهر في التنازل عن الثورة، مصير مصر، وهنا كتب دنقل قصيدة «**لا تصالح**»، بمجرد توقيع اتفاقية فصل القوات الثانية بين إسرائيل وحكومة مصر، ونُشرت القصيدة على نطاق واسع في الصحافة العربية، فلقد رأى كثيرون في تلك الاتفاقية بداية مريبة، تهدد الموقف القومي العربي، فهنا

تحدث دنقل عن القدس، ولكن برؤية غير مباشرة، فهو يرفض الصلح، على حساب القضية الفلسطينية، وفي قلبها القدس، فيقول[٣١]:

لا تصالح

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما؟

هل ترى؟

هي أشياء لا تشترى[٣٢].

شهداء القدس في الشعر العربي

تنظم الشاعرة الموريتانية، مباركة بنت براء، في قصيدتها «**رسالة من الشهيد محمد الدرة**»، بعد انتفاضة الأقصى يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، تقول مباركة[٣٣]:

رصاصَك سدِّدْ فالصور مواقد

وبالأرض من همي جوى متصاعد

رصاصك سدِّدْ يا حقود فلا أنا

من القتل مزور ولا أنا شارد

أنا من دمي تخضر أرضي وتنتشر

وينبت جيل يألف الهم واعد.

يستكمل فاروق جويدة قصائده بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، فيصور صعود الشعب الفلسطيني في القدس، وتمسكه بثأره، فيقول جويدة وهو يبث روح الحماس في الإنسان العربي[٣٤]:

في القدس شعب عنيد قام في شَمَم

بالثأر أقسم سوف يبر بالقَسَم

يا أمة الحق هبي الآن في غضب

كيف استكنت لذل العجز والندم

أشلاؤنا لم تزل في القدس دامية

وكل طفل لها يغفو على اللغم.

تأخذ الانتفاضة مساحة بارزة في قصائد الشاعر السوري سليمان العيسى، وهو الذي أبدع، فوق شعره القومي، في الشعر الموجه إلى أطفال الأمة، وكأن وقع بطولات فتيان الحجارة كان ذا صدى خاص في وجدانه؛ لذلك قال في قصيدته «**نشيد الحجارة**»، والتي تحدث فيها عن القدس، باعتبارها المدينة التي يستشهد هؤلاء الشهداء من أجلها[٣٥]:

وأضم أطفالي إلى وتري

وألتمس البقايا من نشيد الحجر

أهديها إليهم

أرسم الألق العظيم على الدخان

أقول للشعراء:

هذا عصر ملحمة الحجارة

أبطالنا المتشبثون بأرضهم وشمسهم

وبزهرة الرمان والزيتون في أيديهم

لهم تهيىء ثوبها القدس الجريح

مطرزا بالأرجوان

وتستعد لعرسها العربي.

يعبر فاروق جويدة في قصيدة «**إلى آخر شهداء الانتفاضة**» عن قضية فلسطين، من خلال الشهيد الذي يسقط مدافعًا عن القدس، فجعل جويدة من القدس إنسانًا يبكي، فوق قبر الشهيد، الذي مات مدافعًا عنها، لمدة ألف عام، فيقول جويدة[٣٦]:

مت صامدا...

واترك عيون القدس تبكي

فوق قبرك ألف عام

قد يسقط الزمن الرديء

ويطلع الفرسان من هذا الحطام.

تنظر الشاعرة المصرية المعروفة إيمان بكري إلى الانتفاضة في قصيدتها، «**قَسَم قدسي**»، معلنة بأن الإصرار العربي لن تلين قناعته، باستشهاد الصغار، أو الكبار، فالقدس ستعود حتمًا، إلى حضن العرب، وذلك حينما قالت[٣٧]:

مات الصغير وبعينه السمراء أغنية تقاتل

وبكفه اليمنى الصغيرة نبض أحجارها تناضل

قسمًا بموت سنابلي جهرًا على صدر الحقول

قسمًا بنفي رسائلي وبذبح أوردة النصول

سنعيدها عربية

وعزيزة وأبية

باسم انتفاضة قدسنا وبعزمنا باسم الإرادة.

عندما استشهد القائد الفلسطيني «عبد القادر الحسيني»، وهو القائد العام لقوات الجهاد المقدس، في معركة القسطل (٨/ ٤/ ١٩٤٨)، كتب الشاعر المصري، أحمد مخيمر، وقتها قصيدته «**البطل**»، حيث قال فيها مخاطبًا هذا البطل الشهيد[٣٨]:

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل

بمثل عزمك تبني مجدَها الدول

أمامك الجنة الخضراء تفتحها

لك السيوف التي حطمت والأسل

السابقون من الأبطال قد دخلوا

والضائعون من الأحرار قد وصلوا.

فالشاعر هنا يخاطب إنسانا حيًّا، لا ميتًا، فهو إنسان يعي، ويدرك ما يقال له، ومخيمر بذلك يرسم صورة للشهيد، بحيث تقوم السيوف بفتح أبواب الجنة على مصراعيها له، فضلًا على ذكر الشاعر لرغبة هؤلاء الشعراء في العودة للحياة الدنيا مرة أخرى لكي ينالوا الشهادة مرة ثانية.

* * *

هوامش الفصل الخامس:

(١) محسوب محمد سليمان، **شعر القضية الفلسطينية في الأدب العربي المعاصر**، المنصورة، كلية الآداب، ٢٠٠٣، ص١١٥.

١٩٩٧، ص ٨٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٨٧ و ص٨٨.

(٤) إبراهيم حلمي، **القدس في الشعر العربي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص١٣٦.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ١٣٥.

(٦) عمود حسن إسماعيل، **القدس تتكلم**، **القاهرة**، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٦، ص٨٠.

(٧) حسين مجيب المصري، **القدس الشريف بين شعر الشعوب الإسلامية**، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٢، ص٧٤.

(٨) إسماعيل، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٠.

(٩) المصري، **مصدر سبق ذكره**، ص٧١.

(١٠) حلمي، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٥.

(١١) كامل السوافيري، **الشعر العربي في مأساة فلسطين**، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٣، ص٦٣٧.

(١٢) حلمي، **مصدر سبق ذكره**، ص١٤٤.

(١٣) السوافيري، **مصدر سبق ذكره**، ص٤٩٧.

obeikan.com

(١٤) حلمي ، مصدر سبق ذكره، ص١٦٥ .

(١٥) أمل دنقل، **الأعمال الكاملة**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥، ص٢٩٧.

(١٦) www.alqudsonline.com .

(١٧) إسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٧٨.

(١٨) حلمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٦.

(١٩) محمد أحمد الخوفي، **وحدة اللغة والوطن في الشعر الحديث**، بيروت، دار الكتاب الحديث، ١٩٨٤، ص٧٢.

(٢٠) http: /montada.alwast.party com /showthread.php?t.

(٢١) إسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص٧٣.

(٢٢) المصري، مصدر سبق ذكره، ص٧٨و ص٧٧.

(٢٣) عبد الباقي. مصدر سبق ذكره، ص١٠٩.

(٢٤) حلمي، مصدر سبق ذكره، ص١٣٣.

(٢٥) فاروق جويدة، **قصائدي في رحاب القدس**، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٢، ص١٤٣.

(٢٦) الخوفي، مصدر سبق ذكره، ص٧٣.

(٢٧) أحمد مطر، **الأعمال الكاملة «لافتات»**، القاهرة ، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٧٥، ٧٦.

(٢٨) إسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧ ، ٨٨.

(29) / Http: /forum.egypt.com /arforum.

(٣٠) حلمي ، مصدر سبق ذكره، ص١٧٧ .

(٣١) عبد الرحمن الخوفي، **مراجعات في الأدب المصري المعاصر**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص٦٨.

(٣٢) دنقل، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٧.

(٣٣) حلمي، مصدر سبق ذكره، ص١٨٨ .

(٣٤) **المصدر نفسه**، ص١٩١ .

(٣٥) خالد الكركي. **حماسة الشهداء**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٨، ص٣٤٩.

(٣٦) جويدة، مصدر سبق ذكره، ص٥ .

(٣٧) حلمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٠.

(٣٨) **المصدر نفسه**، ص٢٦٣.

* * *